

أضواء البيان

. @ 152

ونص صريح في تنزيه الله سبحانه وتسيحه عما قالوا . .

ثم جاء حرف الإضراب عن قولهم : { بَلْ لَّسَهُ مَآ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّسَةٍ فَنَاتِيُونَ } ، ففيه بيان المانع عقلاً من اتخاذ الولد بما يلزم الخصم ، وذلك أن غاية اتخاذ الولد أن يكون باراً بوالده ، وأن ينتفع الوالد بولده . كما في قوله تعالى : { الْوَالِدُ وَالْذِيْنُ زَيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، أو يكون الولد وارثاً لأبيه كما في قوله تعالى عن نبي الله تعالى زكريا عليه السلام : { فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا يَرْزُقْنِي وَيَرِثْهُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ } . .
والله سبحانه وتعالى حي باق يرث ولا يورث كما قال تعالى : { كُلُّ مَنِّ عَالِيهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ } . .

وقوله : { وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضِ } . .
فإذا كان لله سبحانه وتعالى كل ما في السماوات والأرض في قنوت وامثال طوعاً أو كرهاً ، كما قال تعالى : { وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَانُ عَبْدًا } . .
فهو سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى الولد لغناه عنه . .
ثم بين سبحانه قدرته على الإيجاد والإبداع في قوله تعالى : { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَمْشِي لِّلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَانُ عَبْدًا } . .
وهذا واضح في نفي الولد عنه سبحانه وتعالى . .

وقد تمدح سبحانه في قوله : { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا } . .

أما أنه لم يولد . فلم يدع أحد عليه ذلك . لأنه ممتنع عقلاً ، بدليل الممانعة المعروف وهو كالاتي : .

لو توقف وجوده سبحانه على أن يولد لكان في وجوده محتاجاً إلى من يوجدّه ، ثم يكون من يلدّه في حاجة إلى والد ، وهكذا يأتي الدور والتسلسل وهذا باطل .